رسالة

كمال الشريعة

وشمولها لكل ما يحتاجه البشر

كمال الشريعة
وشمولها لكل ما يحتاجه البشر

كمال الشريعة :

الحمد لله وأشكره على نعمه ، وأسأله المزيد من فضله وكرمه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

وبعده فهذه كلمة تبين كمال الشريعة وشمولها لكل ما يحتاجه البشر .

لا يخفى أن الله بعث نبيه محمداً ﷺ إلى البشر رحمة منه وإحساناً ليخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم . وكانت العرب قبل بعثته ﷺ في جاهلية جهلاء ، وشقاء لا بعده شقاء، يعبدون الأصنام ، ويئدون البنات ، ويسفكون الدماء بأدنى سبب وبلا سبب ، في ضيق من العيش ، وفي نكد وجهد من الحياة ، يعيشون عيشة الوحوش ومع الوحوش ، يتحاكمون إلى الكهان والطواغيت ، فلما جاء الله بهذا النبي الكريم ؛ أخرجهم الله به من الظلمات إلى النور ، أخرجهم من ظلمة الكفر والشرك إلى نور الإيمان والتوحيد ، ومن ظلمة الجهل والطيش إلى نور العلم والحلم ، ومن ظلمة الجور والبغي إلى نور العدل والإحسان ، ومن ظلمة التفرق والاختلاف إلى نور الاتفاق والوئام ، ومن ظلمة الأنانية والاستبداد إلى نور التواضع والتشاور ، ومن ظلمة الفقر والجهد إلى نور الغنى والرخاء ، بل أخرجهم من ظلمة الموت إلى نور الحياة السعيدة :

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي

الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

أكمل الله به الدين ، وتمم به مكارم الأخلاق ، أمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، وأمر ببر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى الفقراء والمعوزين ، حتى قال ﷺ : «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء**» ، وأمر بالتحاكم فيما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله . لا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرها منه ، أخبر بما كان وما يكون إلى يوم القيامة كما قال حذيفة رضي الله عنه : قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه .

وقال أبو ذر رضي الله عنه : قام فينا رسول الله ﷺ أو قال: لقد تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علما . رسم لأمته طريق السعادة في الدنيا والآخرة في سياسته الشرعية التي يعجز كل أحد أن يأتي بناحية من نواحيها ، فرسم لهم طريق السياسة مع الأعداء ، وبين لهم ما تعامل به الأمم الأجنبية من الحرب ووجوبه ، والسلم، ووجوبه والمعادهات والصلح، وحفظ العهود ، وأوجب عليهم الاستعداد بكل قوة يستطيعونها . قال الله تعالى : ﴿**فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٥٧) وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٥٨) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (٥٩) وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٦٠) وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ .

ففي هذه الآيات دلالة واضحة على مقتضيات الحرب والاستعداد لذلك،

وتأهب المسلمين بالقوة لعدوهم بما يرهبهم ، وبيان الصلح والسلم إلى غير ذلك مما دلت عليه هذه الآيات وغيرها من آي القرآن .

كما قسمت الشريعة أيضاً السياسة إلى ثلاثة أقسام :

١ ـ سياسة شرعية دينية .

٢ ـ سياسة جائزة مباحة .

٣ ـ سياسة شيطانية فرعونية إبليسية .

فالسياسة الشرعية الدينية هي : ما دل عليه الكتاب والسنة من قتل القاتل ، وقطع يد السارق ، وإقامة الحدود كحد الزنا والقذف وحد المسكر ودية منافع الأعضاء ، وغير ذلك مما لا يدخل تحت حصر .

والسياسة الجائزة المباحة : وهي ما يسوس بها ولاة الأمور رعاياهم ، مما لم تخالف كتاباً ولا سنة .

فإن رسول الله ﷺ إذا هم بغزوة ورأى بغيرها ، وقال : «**الحرب خدعة**» إلى غير ذلك .

والسياسة الشيطانية الفرعونية الإبليسية : هي كل ما خالف كتاب الله، وصحيح سنة رسول الله ﷺ، وإن زعم أهلها أنهم مصلحون بسياستهم فهم حقاً مفسدون ، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ**﴾ فقال الله: ﴿**أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ**﴾.

فالعبرة بالحقائق لا بالمسميات . وكما قال فرعون : ﴿**مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾.

وأي رشد عند فرعون القائل : ﴿**أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ**﴾ . بل رد عليه القرآن في موضع آخر ، قال تعالى : ﴿**وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ**﴾ .

وبينت الشريعة الإسلامية السياسة الخارجية كما قدمنا في الآيات بشأن السلم والحرب والصلح والمعادة إلى غير ذلك ، فمن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ**﴾ الآية .

فالآية تدل على أن المسلمين مأمورون بالحذر وبالتأهب والاستعداد لعدوهم بالآلات الحربية كالطائرات والدبابات والصواريخ وغيرها ، مما يجد ويحدث ، مما يزيد المسلمين قوة ، فبذلك يأخذون حذرهم وفي قوله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**﴾ ما يبين ذلك .

كما بينت أيضاً السياسة الداخلية فبينت ما للإمام من الحقوق على رعيته، قال تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ .

وقال النبي ﷺ : «**اسمع واطع لمن ولاه الله أمرك**» . الحديث ، وقال: «**اسمعوا وأطيعوا وإن تأمر عليكم عبدٌ حبشي**» .

ومن بيانها لحقوق الرعية على ولي الأمر قوله تعالى : ﴿**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ .

وقول الرسول ﷺ : «**اللهم من ولي أمراً من أمور أمتي فرفق بهم فارفق به ومن ولي أمراً من أمور أمتي فشق عليهم فاشقق عليه**» .

وأمرت الشريعة بمشاورة أولي الرأي ، بل جعلت الشريعة مكانة الشورى بين الصلاة والزكاة للاهتمام بها وعظم شأنها كما في قوله تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾ .

ونهى الرسول ﷺ عن الإخلاد إلى الكسل والعجز والدعة والراحة وأخبرهم أن هذا سبب للذل ، بل أمرهم أن يكونوا أقوياء أشداء أعزاء لا

تلين قناتهم لأحد سوى الله ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، وأمرت الشريعة بالضرب في الأرض لطلب الكسب والتجارة ، قال تعالى : ﴿**وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ**﴾ . وقال : ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ**﴾ .

وأمرت بحرث الأرض للمعاش ، وحثت على ممارسة الزراعة وشجعت أهلها بما لهم من البركة والأجر والفضل العظيم كما قال ﷺ : «**ما من مسلم يزرع زرعاً أو يغرس غرساً فيأكل منه طير أو دابة أو إنسان إلا كان له به صدقة**» . وقال ﷺ : «**من أحيا أرضاً ميتة فهي له**» .

كما جاء الأمر بالصناعة في قوله تعالى : ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً**﴾ .

ففي هذا الأمر بالصناعة مع العمل الصالح وداود عليه السلام هو أحد أنبياء بني إسرائيل المأمور نبينا عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام بالاقتداء بهم في قوله تعالى : ﴿ **وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ**﴾ الآيات ، إلى أن قال : ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾ .

وبالجملة ، فقد رسمت أحكاماً لكل من الزراعة والصناعة والتجارة ، وأوجبت حفظ الحقوق فأمرت بالكتابة والإشهاد ، وحرمت كتمان الشهادة أشد تحريم حماية للأموال وسلامة للصدور عن التقاطع والتباغض ، كما نهت عن الغش والخداع في المعاملات وحرمت الربا بأنواعه وبيع البعض على بيع البعض ، وعن التدليس وبيع الغرر ، كل هذا حفظاً للحقوق وحرصاً على تمام الروابط بين المسلمين .

وأوضحت الشريعة كيفية الاقتصاد وبينت كيف يصرف المال ، فنهت عن

التبذير وعن التقتير ، وأمرت بالقوام بينهما قال الله تعالى : ﴿**وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ**﴾ .

وقال في وصفه لعباد الرحمن : ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا**﴾ .

وبينت الشريعة كيف تقام البيوتات ، وتؤسس العائلات فشرعت النكاح وحثت عليه وغبت فيه وبينت ما للرجل على زوجته من الحقوق وما لها عليه ، وبينت ما عسى أن يقع بينهما من خلاف في المستقبل قال تعالى : ﴿**وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا**﴾ .

﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا**﴾ .

كما شرعت الخلع والطلاق عند تعذر الوئام بينهما وعدم التئام حالهما ، ونظمت شئون الأسرة الواحدة عموماً ، وبينت حقوق الوالد وما عليه ، وحقوق الأولاد وما عليهم ، وجميع الأقارب وذوي الأرحام كلٌ بحسبه .

ولم يمر بالإنسان طور من أطوار حياته من حين رضاعه إلى إنان وفاته بل إلى ما بعد ذلك ، فبينت الأولى بتغسيله وتكفينه وحمله والصلاة عليه ودفنه وميراثه ووصيته وحقوقه ، وقضاء ما عليه من الديون ، وحكم أوقافه ما يصح منها وما لا يصح . فللّه ما أعظم هذه الشريعة وأجلها وأسماها .

وكلما ازداد المرأ معرفة بها ؛ ازداد لها احتراماً وتعظيماً وتوقيراً ، فلذلك كان الصحابة رضي الله عنهم لكمال معرفتهم بها أشد الناس تمسكاً بها وتمشياً مع تعاليها بكل جليل ودقيق ، وإنه لمن العجب إعراض أكثر الناس

في هذه الأزمنة عن تعاليم هذه الشريعة السامية الكاملة واستبدالها أو شوبها بقوانين وضعية ظاهرة التناقض واضحة الجور فاسدة المعنى ، فلذا كثيراً ما يطرأ عليها التغيير والتبديل ؛ كلٌ يرى أنه أحسن ممن تقدمه وأدرى بالمصالح والمفاسد ممن سبقه ، ثم يجري عليها تغييراً وتبديلاً بحسب رأيه ، وهكذا دواليك ما بقيت هذه النظم المستمدة من نحاتة الأفكار وزبالة الأذهان .

أما الشريعة الإسلامية فهي صالحة لكل زمان ومكان مضى عليها أربعة عشر قرناً وهي هي في كمالها ومناسبتها وحفظها لكافة أنواع الحقوق لجميع الطبقات . وأهدأ الناس حالاً وأنعمهم بالاً وأقرهم عيشاً أشدهم تمسكاً بها سواء في ذلك الأفراد أو الشعوب أو الحكومات ، وهذا شيء يعرفه كل أحد إذا كان عاقلاً منصفاً وإن لم يكن من أهلها بل وإن كان من المناوئين لها .

وقد سمعنا وقرأنا كثيراً مما يدل على ذلك ، فقد ذكر بعض عقلاء المستشرقين الذين يكتبون لبيان الحقيقة والواقع لا للسياسة : أن نشأة أوروبا الحديثة إنما كانت رشاشاً من نور الإسلام فاض عليها من الأندلس ومن صفحات الكتب التي أخذوها في حروبهم مع المسلمين في الشرق والغرب.

وقال القس طيلر : إن الإسلام يمتد في أفريقيا وتسير الفضائل معه حيث سار فالكرم والعفاف والنجدة من آثاره ، والشجاعة والإقدام من نتائجه . وقال كونتنس : يمتاز المسلمون على غيرهم برفعة في السجايا ، وشرف في الأخلاق قد طبعته في نفوسهم ونفوس آبائهم وصايا القرآن بخلاف غيرهم، فإنهم في سقوط تام من حيث ذلك .

وقال أيضاً : إن من أهم النعوت التي يمتاز بها المسلم عزة في النفس ، فهو سواء في حالة بؤسه ونعيمه لا يرى العزة إلا لله ولرسوله وله .

وهذه الصفة التي غرسها الإسلام في نفوسهم إذا توفرت معها الوسائل كانت أعظم دافع إلى التسابق إلى غايات المدنية الصحيحة ورقيات الكمال.

قال هانوتو ـ وزير خارجية فرنسا ـ في وقته : إن هذا الدين الإسلامي قائم الدعائم ثابت الأركان ، وهو الدين الوحيد الذي أمكن اعتناق الناس له زمراً وأفواجاً ، وهو الدين الإسلامي العظيم الذي تفوق شدة الميل إلى التدين به كل ميل إلى اعتناق أي دين سواه ، فلا يوجد مكان على سطح المعمورة إلا واجتاز الإسلام فيه حدوده فانتشر في الآفاق .

وقال بعضهم : لما رغب المسلمون عن تعاليم دينهم وجهلوا حكمه وأحكامه ، وعدلوا إلى القوانين الوضعية المتناقضة المستمدة من آراء الرجال؛ فشا فيهم فساد الأخلاق فكثر الكذب والنفاق والتحاقد والتباغض، فتفرقت كلمتهم وجهلوا أحوالهم الحاضرة والمستقبلة ، وغفلوا عما يضرهم وما ينفعهم وقنعوا بحياة يأكلون فيها ويشربون وينامون ، ثم لا ينافسون غيرهم في فضيلة ولكن متى أمكن لأحدهم أن يضر أخاه لا يقصر في إلحاق الضرر به .

وأقوالهم في هذا الموضوع كثيرة جداً يعترفون فيها بعظمة الإسلام وشموله لعموم المصالح ودرء المفاسد ، وأن المسلمين لو تمسكوا بإسلامهم حقاً ؛ لصاروا أرقى الأمم وأسعد الناس ، ولكن ضيعوا فضاعوا ، واكتفوا منه بمجرد التسمي بأنهم مسلمون.

مناقب شهد العدو بفضلها والفضل ما شهدت به الأعداء

ولسنا ـ والحمد لله ـ في حاجة إلى شهادة هؤلاء وأمثالهم بفضل الإسلام وعلو مكانته ، ولكن ذكرنا هذا لما قصر أهله في فهمه والعمل به ، وعرف منه أعداؤه ما لم يعرفه بنوه إذ جهلوا مصالحه وتطلعوا إلى غيره من النظم

الفاسدة المتناقضة ، وأعداؤه يفضلونه ويشهدون له بالكمال وأنه فوق كل نظام ، ولا شك أنه الدين الصحيح الكفيل بكل ما يحتاجه البشر على وجه يكفل لهم المصالح ويدرأ عنهم المفاسد ، دين الفطرة السليمة ، دين الرقي الحقيقي ، دين العدالة بأسمى معانيها، دين المدنية والحرية بمعناها الصحيح، دين العمل ، دين الأجتماع ، دين التوادد والتناصح والتحابب، دين رفع ألوية العلم والصنائع والحرف ، لم يقتصر على أحكام العبادات والمعاملات ، بل شمل جميع منافع العباد ومصالحهم على ممر السنين وتعاقب الدهور إلى أن تقوم الساعة .

ولكن ياللأسف ويا للمصيبة ، إن أبناء هذا الدين جهلوا قدره وجهلوا حقيقته ، بل كثير منهم عادوه وأصبحوا يدسون عليه معاولهم ليهدموه وليفرقوا أهله ويفضلون أهل الغرب على المسلمين ، ظنا منهم بعقولهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة أن الدين هو الذى أخرهم ، وهيهات أن يكون الدين هو الذى أخرهم ولكنهم أخروا أنفسهم بالأعراض عن تعاليم دينهم، وأخلدوا إلى الكسل وقنعوا بالجهل ، فأصبحوا في حيرة من أمرهم .

إنهم لوعرفوا دينهم وطبقوا تعاليمه ؛ لوصلوا فوق ما وصل إليه غيرهم من التقدم الصناعي ، ولكن تركوا دينهم واقتنعوا بالترف والنعيم وأهملوا العناية به، فوالله لو أن أهله قاموا بما يجب عليهم لحازوا شرف الدنيا والآخرة.

وإن الواجب على أهل الإسلام ، خصوصاً العلماء منهم وولاة الأمور أن يبثوا الدعوة له وينشروا محاسنه لنشئهم ليرغبوهم فيه، ويرشدوا الأمة لأحكامه وحكمه كما يفعل أوائلهم الأماجد ، فأنهم قاموا بالدعوة فبينوا للأمم محاسنه وسماحته ، شارحين لهم حكمه موضحين مزاياه، وبذلك امتد سلطانهم واتسعت ممالكهم وأخضعوا من سواهم لتعاليمه ، ولكن

مالبث أبناؤهم أن حرفوا فانحرفوا وتمزقوا بعدما اجتمعوا واشتبه الحق عليهم بالباطل ، فتفرقت بهم السبل وأصبحوا شيعاً متفرقين في آرائهم متباينين في مقاصدهم ، وكيف يحصل لهم الرقي وأنى يتسنى لهم التقدم وقد رضوا بقوانين وضعية استمدوها من أعدائهم ، يجرون وراءهم وينهجون نهجهم تقليداً لهم ومصادقة للشريعة الإسلامية التى هي عزهم وفخرهم وفيها راحتهم وطمأنينتهم والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾ ويقول جل شأنه ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ ، ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ وقال سبحانه وتعالى : ﴿**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾ .

وقد تكفلت الشريعة بحل جميع المشاكل وتبيينها وإيضاحها قال تعالى : ﴿**مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ**﴾ وقال تعالى ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ**﴾ .

ففي هذه الآية أن القرآن فيه البيان لكل شيء وأن فيه الاهتداء التام ، وأن فيه الرحمة الشاملة ، وأن فيه البشارة الصادقة للمتمسكين به الخاضعين لأحكامه ، قال تعالى : ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ**﴾ وقال تعالى ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾ .

وقال ﷺ : «**تركتكم على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها لايزيغ عنها بعدي إلاهالك**» وقال ﷺ : «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر مابعدكم وحكم مابينكم ، هو الفصل**

ليس بالهـزل ، من تركه من جبـار قصـمه الله ومن ابتـغى الهدى من غـيره أضله الله ....»الخ

فكيف يجترىء من يدعى الإيمان مع هذا البـيان الواضح والآيات البينات والأحاديث الصحيحـة على الرضى بالتحاكم إلى الطاغوت والإعراض عن شريـعة الله ، والله قـد نفى الإيمان عن من لم يحكم الرسـول فيمـا وقع بينهم من التشاجر ، قال تعالى : ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾

وأنه لمن أعظم الضلال أن يعـتقد من يدعى الإسلام أن الشـريعة لم تأت بما لايكفل مصلحة الجميع ، وأن الناس مـحتاجون إلى غيرها في شيء من شئـونهم ومشـاكل حياتهم أليس ذلـك طعنا وتكذيبا لقـوله تعالى : ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾ .

ياله من دين ، مـا أجله ومـا أكـمله ، فـإن من تأمـل حكم هذا الدين القويم والملة الحنفية والشريعة المحمدية التى لاتنال العبارة كمالها ، ولايدرك الوصف حسنها ، ولاتقترح عقول العقلاء ولو اجتمعت وكانت على أكمل عـقل رجل منهم مـثلهـا ، وحسب العـقـول الكاملة الفـاضلة أن أدركت حسنهـا ، وشهدت بفـضلها ، وأنه ماطـرق العالم شريعـة أكمل ولا أجل ولاأعظم منها ، فهي نفـسها الشاهد والمشهود له ، والحـجة والمحتج له ، والنور والبرهان ، وهي من أعظم نعم الله التى أنعم بها على عـباده ، فما أنعم عليهم بنعمة أجل من أن هداهم لها وجعلهم من أهلها وممن ارتضاهم لها ، فلهـذا امتن على عباده بأن هداهم لها قـال تعالى : ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾ .

وقال معرفاً لعباده ومذكراً لهم عظيم نعـمته عليهم مستدعيا منهم شكره على أن جـعلهم من أهلهـا : ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيـنَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾.

قال بعض السلف : ياله من دين لو أن له رجالاً !!

والله أعلم وصلى الله على محمد .